رســالــةُ
حقُّ التَّحقيـقِ
في معرفةِ حكمِ العقلِ والتَّصديقِ

تأليفُ

شهيدُ المُحدِّثينَ العلَّامةُ السَّيِّدُ الميرزا محمَّدُ بنُ عبدِ النَّبيِّ
النَّيشابوريُّ الخراسانيُّ الملقَّبُ بـ " جمالِ الدِّينِ"
المُستشهدُ ببلدةِ الكاظمَينِ سنة ١٢٣٢ هـ

تحقيقُ : أبو الحسنِ عليُّ بنُ جعفرِ بنِ مكيٍّ آل جسَّاسٍ

معلوماتٌ عن الرِّسالةِ

ذكرَهَا الطَّهرانِيُّ في الذَّريعةِ [١] نقلًا عن حفيدِهِ الميرزا محمَّدِ تقيٍّ ابنِ الميرزا حسينِ ابنِ الميرزا عليٍّ ابنِ المصنِّفِ .

وقد أوردَها تلميذُ المصنِّفِ المولى عبدُ الصَّاحبِ بنِ محمَّدِ جعفرِ بنِ عبدِ الصَّاحبِ الدُّوَّانِيُّ في الفوائدِ الذَّهبيَّةِ ضمنَ رسائلِهِ ، وقد ذكرَ الميرزا إبراهيمُ في ترجمةِ المُصنِّفِ في إيقاظِ النَّبيهِ أنَّ هذِهِ الفوائدَ تقعُ في جزءينِ ، وهذهِ الرِّسالةُ تقعُ في الصَّفحاتِ **٩٤_٩٥** من مخطوطةٍ توجدُ لدى السَّيِّدِ مرتضى جمالِ الدِّينِ ، والمخطوطةُ رديئةُ الخطِّ . وعلى الرِّسالةِ تعليقاتٌ للدُّوَّانيِّ جامعُ الفوائدِ الذَّهبيَّةِ وسنوردُها في الهامشِ ؛ ونرمز للنُّسخةِ المأخوذةِ من الفوائدِ " **ف** " .

---

(١) الذَّريعةُ : ج٧ : ص٣٧ : رقم١٨٣ .

[المقدَّمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ، سلامٌ على عبادِهِ الَّذينَ اصطفى ؛ وبعدُ :

فهذِهِ رسالةُ « **حقِّ التَّحقيقِ في معرفةِ حكمِ العقلِ والتَّصديقِ بعدَ معرفةِ العقلِ والوهمِ السَّحيقِ** » ، واللهُ وليُّ التَّوفيقِ .

[في العقلِ والوهمِ وحكمِ كلٍّ منهما]

اعلم أنَّ العقلَ ميزانُ الله تعالى في عبادِهِ ، والوهمَ ميزانُ الشَّيطانِ وأجنادِهِ ، وميزانَ الله يصيبُ ولا يخطئُ .

فكلُّ أصلٍ وقانونٍ ومادَّةٍ وهيئةٍ وناموسٍ لا يعدُّ الأخذُ بهِ خطأً في نظرِهِ ؛ فذاكَ ميزانُ العقلِ وحجَّةُ الله في عبادِهِ للفصلِ ، وما يحكمُ بهِ فهوَ حقٌّ ، وما يُخبرُ بهِ فهُوَ صدقٌ ، وإنَّما الحكمةُ في الكُلِّيَّاتِ والحقائِقِ المرسلةِ فقط ؛ فإنَّها إقليمُهُ ومدركاتُهُ .

وأمَّا ما يعرضُ الفكرُ عليهِ من مدركاتِ الوهمِ ـ من المعاني الجزئيَّةِ ـ ، ومدركاتِ الخيالِ ـ منَ الصُّورِ الجزئيَّةِ ـ ، ومدركاتِ البصرِ ـ منَ الألوانِ والأضواءِ والمقاديرِ والأبعادِ والأوضاعِ ـ ، ومُدركاتِ السَّمعِ ـ منَ الألحانِ والأصواتِ ـ ، ومدركاتِ اللَّمسِ ـ منَ الكيفيَّاتِ ـ ، ومدركاتِ الذَّوقِ ـ منَ

الطُّعومِ ـ ، ومدركاتِ الشَّمِّ ـ من الرَّوائحِ عندَ الاشتباهِ ـ ؛ فهوَ مُصدّقٌ في ذلكَ، والحكمُ في العوالـمِ السَّبعةِ لسلطانِهَا ؛ وهذا هوَ العلمُ ـ بمعنى انكشافِ الشَّيءِ على ما هوَ عليهِ ـ ؛ لاستحالَةِ تخلُّفِ أسبابِ اللهِ تعالى عن مُسبِّباتِهَا [1] .

وميزانُ الشَّيطانِ يخطئُ ولا يصيبُ الواقعَ على ما هوَ عليهِ حقيقةً ؛ لأنَّهُ شأنُ العقلِ ، بل قد يصيبُ معنىً يخلقُهُ وينتزِعُهُ انتزاعًا من غيرِ معرفةٍ بنفسِ الأمرِ ، وهوَ [في] عُرْفِ النَّاموسِ "**الشَّيطنةُ**" و"النَّكراءُ" ؛ ليست بالعقلِ وشبيهةٌ بهِ [2] ، ونتائجُ أنظارِهِ وثمراتُ أفكارِهِ ، هيَ المشْيُ بالجهلِ المركَّبِ عندَ أصحابِ العقولِ ، وبالرَّيبِ والظَّنِّ في التَّنزيلِ وكلامِ الرَّسولِ وآلِ الرَّسولِ ﷺ .

---

(١) في نسخةِ " ف " (الفوائدِ الذَّهبيَّةِ) : ((يقولُ الجامعُ [المولى عبدُ الصَّاحبِ الدُّوَّانيُّ] : ((العقلُ نورٌ إلهيٌّ خَلَقَهُ اللهُ وأعطاهُ الإنسانَ ؛ لتمييزِ الحقِّ عن الباطلِ ؛ فيزنَ بهِ الأشياءَ ؛ فلا يُوزَنُ بشيءٍ آخرَ ، وإنَّما يصيبُ لو خُلِّيَ وذاتهُ ؛ فيسلك في مسلكِهِ ، ويمشي في طريقِهِ ، ويقطعُ سبيلَهُ ؛ فلا يَسلُكُ في العقليَّاتِ إلاَّ بما هوَ مفطورٌ عليهِ ؛ فيكونُ مادَّةُ قياسِهِ وهيئتِهِ ضروريَّةً فطريَّةً ، ولا في الشَّرعيَّاتِ إلاَّ بالسَّماعِ عن الصَّادقِينَ الَّذينَ عَرَفَ صدقَهُم بفطرتِهِ ضرورةً ؛ فلا يخطئُ أصلاً . وإنَّما الخطأُ من بابِ طاعةِ الإنسانِ للوهمِ والإعراضِ عن عقلِهِ عن بصيرةٍ بعدمِ الالتفاتِ إليهِ أصلاً ؛ فيُشبِّه نفسَهُ بالعقلِ ؛ فيحكم فيطيعهُ في حُكمِهِ ، ولو لَم يُعرِض عنهُ لعرَّفَهُ خطأهُ ، وإن أعرضَ عنهُ لعرَّفهُ إعراضُهُ عنهُ خطأهَ في إعراضِهِ عن النُّورِ ، وميلِهِ إلى الظُّلمةِ ، وإن قصَّرَ عن ذلكَ فلا خطأ لهُ ؛ فتفطَّنْ)) انتهى .

(٢) إشارةً إلى ما رواهُ الكلينيُّ في أصولِ الكافي : ج١ : ص١١ : كتابُ العقلِ والجهلِ : ح٣ بسندِهِ عَنْ بَعْضِ الأَصْحَابِ يَرْفَعهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ : ((**قُلْتُ لَهُ : مَا الْعَقْلُ ؟ قَالَ : مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ . قَالَ : قُلْتُ : فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ ؟ فَقَالَ : تِلْكَ النَّكْرَاءُ ؛ تِلْكَ الشَّيْطَنَةُ ؛ وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ وَلَيْسَتْ بِالْعَقْلِ**)) .

[خاصَّةُ كلٍّ من الميزانينِ العقلِ والوهمِ]

وخاصَّةُ الميزانِ الأوَّلِ إجماعُ أهلِهِ في كلمتِهِم ـ وهيَ كلمُةُ الله العُليا ـ . وخاصَّةُ الميزانِ الثَّاني افتراقُ أهلِهِ ـ وهيَ كلمةُ الَّذينَ كفروا السُّفلى ـ قالَ تعالى ـ قُلْ ـ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١) ، والكثيرُ قيدٌ توضيحيٌّ ؛ لأنَّ الكثرةَ فرعُ الاختلافَ ، والوحدةُ أصلُ الاتِّفاقِ .

فكلُّ مَن حَكَمَ منَ الأفـرادِ على الحقيقةِ فهوَ حاكمٌ بحكمِ الوهمِ ظانٌّ [في] حكمِـهِ ؛ فإنْ حَصَـلَ لهُ سكونٌ بادٍ ؛ فذلكَ جهلٌ مركَّبٌ .

فميزانُ المؤمنينَ في الشَّرعيَّاتِ أسوةٌ تعيينًا وتخييرًا وترتيبًا ؛ وعمومًا وخصوصًا ؛ إطلاقًا وتقييدًا ؛ عزيمةً ورخصةً ؛ كلٌّ في محلِّهِ وموضوعِهِ .

[في تقسيمِ الأشياءِ إلى حاضرةٍ وغائبةٍ]

فذلكَ لأنَّ الأشياءَ إمَّا حاضرةٌ أم لا ؛ فالأولى هيَ **البديهيَّاتُ الأوَّليَّةُ** ؛ وميزانُهَا اتِّفاقُ النَّوعِ معَ اختلافِ مِلَلِهَا .

[في الأشياءِ الغائبةِ وإليها طريقٌ في نفسِ الإنسانِ وأبوابِهَا]

والثَّانيَّةُ إمَّا إليهَا طريقٌ في نفسِ الإنسانِ أم لا ؛ فالأولى منَ الثَّانيةِ لها ثمانيةُ أبوابٍ لكلِّ بابٍ منهَا جزءٌ مقسومٌ ؛ لأنَّها إمَّا كُلِّيَّاتٌ وحقائقُ مرسلةٌ فبابُهُا يُسمَّى "**عقلاً**" ، وإمَّا جزئيَّاتٌ من معانٍ منتزعةٍ منَ المحسوساتِ فبابُهُا "**الوهمُ**" ، وإمَّا صورٌ

---

(١) سورةُ النِّساءِ : الآيةُ ٨٢ .

منتزعةٌ منهَا فبابُهُا "**الخيالُ**"، وأمَّا **المحسوساتُ الظَّاهرةُ** فبابُها الحواسُّ الخمسُ .

ودليلُ الحصرُ هكذا : إنَّ الأمورَ الغائبةَ عن اللَّطيفةِ الإنسانيَّةِ غيبة إضافيَّة إمَّا كليَّةٌ أم لا ؛ فالأولى عقليَّاتٌ ، والثَّانيةُ إمَّا معانٍ جزئيَّةٌ أم لا ؛ والأولى بابُهَا الوهمُ ، والثَّانيةُ إمَّا صُورٌ منتزعةٌ أم لا ، والأولى بابُهَا الخيالُ ، والثَّانيةُ إمَّا من بابِ الأضواءِ والألوانِ والمقاديرِ والأبعادِ والأوضاعِ أم لا ؛ فالأولى بابُهَا البصرُ ، والثَّانيةُ إمَّا منَ الألحانِ والأصواتُ أم لا ، فالأولى بابُها السَّمعُ ، والثَّانيةُ إمَّا منَ الرَّوائحِ أم لا ، فالأولى بابُها الشَّمُّ ، والثَّانيةُ إمَّا منَ الطَّعومِ أم لا ، والأولى بابُها الذَّوقُ ، والثَّانيةُ كيفيَّاتٌ ـ من برودةٍ ، وحرارةٍ ، ورطوبةٍ ، ويبوسةٍ ، وملامسةٍ ، وخشونةٍ ، ولينٍ ، وصلابةٍ ـ فبابُها اللَّمسُ .

[في الأشياءِ الغائبةِ وليسَ إليها طريقٌ في نفسِ الإنسانِ]

وأمَّا الثَّانيةُ من الثَّانيةِ ـ وهيَ ما ليست بحاضرةٍ ولا في لطيفةِ الإنسانِ ما يحضرُهَا فهيَ **الغيبُ المطلقُ** : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾(١) ؛ فهيَ مخزونةٌ عندَ الله تعالى .

[عوالمُ الغيوبِ والحاجةُ إلى النَّبيِّ والرَّسولِ]

وهيَ إمَّا ذاتٌ مخزونةٌ مطلقةٌ ؛ ويسمَّى بـ"**العلمِ المكنونِ**"، ومتعلِّقُهُ هوَ الجزءُ المكنونُ لم يظهر لأحدٍ ولن يظهرْ أبدًا ، وحضرتُهُ يسمَّى "**عالم المشيئةِ**" ،

---

(١) سورةُ البقرةِ : الآيتانِ ٢ ، ٣ .

وحيِّزهُ لوحُ المحوِ والإثباتِ صحيفةُ البداءِ ؛ ومنهُ نشوءُ الخوفِ والرَّجاءِ . وهيَ أصلُ الإيمانِ لِـمَنَ آمنَ بهِ ونهى النَّفسَ عن الهوى أم لا ؛ ويسمَّى بـ " **الغيبِ المضافِ** " في عوالـمِهِ السَّبعةِ ، ولهُ مفاتيحُ خمسةٌ قالَ تعالى : ﴿ **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ** ﴾[1] ؛ يعني بالذَّاتَ ؛ فقالَ : ﴿ **فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾[2] ، وهُنَا مقامُ الحاجةِ إلى المُعلِّمِ الرَّبانيِّ والنَّاموسِ الرَّحمانيِّ ؛ المُسمَّى بـ (**النَّبيِّ**) و (**المرسلِ**) و (**الرَّسولِ**)[3] .

[طرقُ الأخذِ ومراتبُ التَّلقِّي]

ومَن أَخذَ منهُم أَخذَ سماعًا أولاً ، وقراءةً ثانيًا ، وضبطًا ثالثًا ، وعَرْضًا رابعًا ، وإجازةً خامسًا ، وهَلُمَّ جرًّا ، معَ كونِ المُسدِّدِ القيِّمِ المعصومِ حجَّةَ الوقتِ وناموسَهُ منَ وراءِ أولئكَ الحَملَةِ . قالَ ﷺ : « **إنَّ في كُلِّ خَلَفٍ مِنْ أمَّتي وَلِيًّا يَذِبُّ عَنْ هَذَا الدِّيْنِ تَحْرِيْفَ الغَالِيْنَ ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِيْنَ ، وَتَأْوِيْلَ الجَاهِلِيْنَ** »[4] ؛

---

(١) سورةُ الأنعامِ : الآيةُ ٦ .

(٢) سورةُ الجنِّ الآيتانِ ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) يقولُ الجامعُ ـ في الفوائدِ الذَّهبيَّةِ ـ : ((وَضَعَ اللهُ طريقَ التَّعلُّمِ في غيرِ الضَّروريَّاتِ الَّتي لا احتياجَ فيهَا إلى التَّعلُّمِ ـ عقليًّا كانَ أو شرعيًّا ـ في السَّماعِ عن أَعقلِ العقلاءِ العارفينَ بكيفيَّةِ إعمالِ العقلِ ومواضعِ استعمالِهِ ونحوِ سلوكِهِ حتَّى لا يقعَ الخطأُ في الفكرِ بتعريفِ موادِّ الأقيسةِ وصُورِهَا ، وكيفيَّةِ استعمالِهَا لهُ ومواضعِهِ وطرقِهِ وسلوكِهِ وبالأحكامِ الشَّرعيَّةِ والأوضاعِ الدِّينيَّةِ ؛ وإن كانَ العقلُ قد يُدرِكُ العقليَّاتِ النَّظرية بالنَّظر)) انتهى .

(٤) في الكافي : ج١ : ص٣٣ : باب صفةِ العلم : ح٢ عن أبي البختريِّ عن الصَّادق عليه السلام : ((**فَإِنَّ فِيْنَا أَهْلَ البَيْتِ فِي كُلِّ خَلَفٍ عُدُوْلاً يَنْفُوْنَ عَنْهُ تَحْرِيْفَ الغَالِيْنَ ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِيْنَ**)) ،

فالإمامُ القَيِّمُ يلقي إلى الحجَّةِ ، والحجَّةُ يلقي إلى ذي المصَّةِ ، وهو يلقي إلى الدَّاعي ، وهوَ يلقي إلى المُعلِّمِ ، وهو يُلقِي إلى المُكلِّمِ ، وهوَ يلقي إلى المُؤمنِينَ ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[١] ، و ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٢] ، وهؤلاءِ رجالُ الدَّرجاتِ السَّبعِ الإيمانيَّةِ هم المُخلَصونَ ، قالَ تعالى ـ حكايةً عن إبليسَ ـ : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٣] ، **والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .**

[تاريخُ الفراغِ من التَّحقيقِ]

وَقَعَ الفراغُ من تحقيقِ رسالةِ " **حقِّ التَّحقيقِ** " ـ تصحيحًا وضبطًا وتنسيقًا وتَهميشًا ـ في شطرٍ من نهارِ الثُّلاثاءِ الرَّابعِ من شهرِ رمضانَ المباركَ من سنة **١٤٣٨** من الهجرةِ النَّبويَّةِ ـ على مهاجرِهَا وآلِهِ صلاةُ اللهِ وملائكتِهِ والنَّاسِ أجمعينَ بكرةً وعشيًّا ـ بيدِ **أبو الحسنِ الإماميِّ عليِّ بنِ جعفرِ بنِ مكيٍّ آلِ جساسٍ .**

وفي اختيارِ معرفةِ الرِّجالِ : ج١ : ص١٠ : ح٥ عن إسْماعيلَ بنِ جابرٍ عنهُ عليه السلام قالَ : ((قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله : **يَحْمِلُ هَذَا الدِّيْنُ فِي كُلِّ قَرْنٍ عُدُوْلٌ يَنْفُوْنَ عَنْهُ تَأْوِيْلَ المُبْطِلِيْنَ وَتَحْرِيْفَ الغَالِيْنَ وَانْتِحَالِ الجَاهِلِيْنَ كَمَا يَنْفِي الكِيْرُ خَبْثَ الحَدِيْدِ**)) .

(١) سورةُ البقرةِ : الآيتانِ ٢ ، ٣ .

(٢) سورةُ البقرةِ : الآيتانِ ٢ ، ٣ .

(٣) سورةُ البقرةِ : الآيتانِ ٢ ، ٣ .

المحتويات

****